سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

أوراق علمية (423)

(وقالوا نحنُ أبناء اللّٰه)

الأصول والعوامل المكوّنة للأخلاق اليهودية

إعداد:
عمار محمد أعظم
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

salaf center
جوال سلف : 00966565412942

المقدمة:

لا يكاد يخفى أثر العقيدة على الأخلاق وأثر الفكر على السلوك إلا على من أغمض عينيه دون وهج الشمس منكرًا ضوءه، فهل ثمّة أصول انطلقت منها الأخلاق اليهودية التي يستشنعها البشر أجمع ويستغرب منها ذوو الفطر السليمة؟!

كان هذا هو السؤال المتبادر إلى الذهن عند عرض الأخلاق اليهودية وما فيها من شنائع وتناقضات وعنف وإرهاب.

أضف إلى ذلك أن الباحثين في الأخلاق اليهودية يشتكون **مما فيها من الاضطراب والتناقض**؛ فبينما هي تدعو إلى الأخلاق الفاضلة نجدها تتناقض وتشرّع الأخلاق الرذيلة(١)، ولذا اتخذ القرآن الكريم عند عرضها منهجَ التفصيل بأن منهم ومنهم ولم يعمّم(٢).

وقد نتج عنه أنِ اختار كثير من الباحثين الاقتصارَ على دراسة الأخلاق الرذيلة لغلَبَتها، ولم يتحدّثوا عن الأخلاق الفاضلة إلا نادرًا(٣).

وإن كان الأمر كذلك: فما أبرز العوامل والأصول المكوِّنة للأخلاق اليهودية؟

وما أثر العقائد والمصادر الدينية على الأخلاق اليهودية؟

وهل العوامل الدينية هو العامل الأوحد في خلق تلك الأخلاق اليهودية، أم ثمّة عوامل أخرى مؤثّرة تأثيرَها؟

هذه الأسئلة وغيرها ساهمت في مخاض هذه الورقة حيث يتمّ التنقيب فيها عن أهم الأصول المكوِّنة والأسس المؤصّلة للأخلاق اليهودية؛ ذلك "أن أيّ معاملة لليهودي مع غيره

---

(١) ينظر: المتفق والمختلف في القيم الأخلاقية بين اليهوديَّة والمسيحية والإسلام.. دراسة مقارنة، أحمد إبراهيم الديبو، مجلة ريحان للنشر العلمي الصادرة عن مركز فكر للدراسات والتطوير، (ع: ١٤، ٩/ ٩/ ٢٠٢١م، ص: ١٥٩)، الأخلاق في القرآن والتوراة والتلمود، أحمد عمار عبد الجليل، دار نور حوران – دمشق، بدون رقم الطبعة، عام ٢٠١٨م (ص: ٩).

(٢) جامع البيان للطبري (١٠/ ١٣٠).

(٣) ينظر: القدس مدينة الله أم مدينة داود، حسن ظاظا، وهو مطبوع ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي (ص: ٣٧)، المتفق والمختلف في القيم الأخلاقية بين اليهوديَّة والمسيحية والإسلام.. دراسة مقارنة، أحمد إبراهيم الديبو، مجلة ريحان للنشر العلمي الصادرة عن مركز فكر للدراسات والتطوير، (ع: ١٤، ٩/ ٩/ ٢٠٢١م، ص: ١٥٩)، الأخلاق في القرآن والتوراة والتلمود، أحمد عمار عبد الجليل (ص: ٩).

من النا إنما تتمّ وفق تصوّر تعاليمه؛ وبالتالي فإن أي معاملة من غير اليهود يجب أن تأخذ في الحسبان ما يعتقده اليهود عن غيرهم من الناس"(١).

تمهيد:

لم يكن علماءُ الإسلام يدرسون المسائل مجردَّة، بل كانوا ينقّبون في أغوارها باحثين عن أصولها ومنشئها والأصول المكوِّنة لها والخلفيات والظروف التي نشأت فيها المسألة محلّ الدراسة؛ فليس هذا من مخترعات الفكر الحضاري والنهضة العلمية المعاصرة ومنجزاتها، بل قد سبق إليه فحول علماء الإسلام؛ حيث كانوا يركِّزون بعدسات بحثهم على مناقشة القضايا الرئيسة والأصول بدلًا مما انبنى عليها من فروع ومسائل، وينقّبون عن أصل الخلاف ومنشئه بدلًا من التطويل في مسائله ومخرجاته؛ إذ إن نقض الأصل نقضٌ للفرع، وبيان بطلان المنشأ يبطل كل ما انبنى عليه من المسائل(٢).

ومما لا شكّ فيه أن هذا من الصعوبة بمكان؛ إذ يتطلّب من الباحث سعةَ اطلاع على الآراء والأهواء والملل والنحل، وحذقًا للمناهج البحثية من توصيف ومقارنة وتحليل وغيرها في آن واحد، وإدراكًا لمواطن الاشتراك والاختلاف بين القول والآخر، ومعرفة بقضايا الأثر والتأثير، وهو من أصعب المناهج البحثية حتى يوم الناس هذا(٣).

ولا نريد الاستطرادَ أكثر في هذا الباب وفي بيان سبق علماء الإسلام، فهو حديث ذو شجون؛ لكن المقصود هنا الحديث عن **العوامل المكونة للأخلاق اليهودية** والتي تكشف لنا سبب هذا الاضطراب والتضارب الذي سبق، ومن هنا كان لا بد من البحث في عواملها وجذورها التي تفرعت عنها، والتأمل في العوامل الأساسية التي كوَّنت الشخصية اليهوديَّة، ونتج عنها ظهور تلك الأخلاق والسلوكيات؛ حتى يستوعب القارئ –الإنسان فضلا عمَّن طهَّره الله بالإسلام– كثيرًا من تلك الأخلاق المنافية للفطرة الإنسانية أن تكون مسطرة في صحفٍ

(١) أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، هند دخيل الله وصل القثامي، رسالة ماجستير بقسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ –غير مطبوع– (ص: ٣٦٧).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٨٠)، الرد على البكري (١/ ١٨٢)، تحرير منشأ الخلاف في مسائل العقيدة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عبد اللطيف القريقري (ص: ٥).

(٣) ينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري (ص: ١١٤).

يزعمون فيها أنها مكرَّمة ومطهَّرة من التحريف ومنزَّلة من الرب اللطيف![١].

العوامل المكوِّنة للأخلاق اليهوديَّة:

بعد التأمّل في العوامل نجد أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع، وأن العوامل الدينية هي العوامل المركزية الأساسية في تكوين الأخلاق اليهودية وفي تشكُّل الشخصية اليهودية، وإن كانت العوامل الأخرى لا تقلّ عنها أهمية؛ كالعوامل التاريخية والنفسية وغيرها، وأبرز تلك العوامل المكوّنة للأخلاق اليهوديَّة ما يأتي:

النوع الأول: العوامل الدينية:

يمثِّل الدين أهمَّ عنصر فاعل في فكر اليهود وسلوكهم على مرِّ تأريخهم، ولا أدل على ذلك من أن كثيرًا من حاخامات ورجال الدين وغيرهم يتشبّثون بالنصوص الدينية حين تعوزهم الخطَط والدَّهاء، ومن أهم العوامل الدِّينيَّة التي أنتجت أخلاقياتهم:

العامل الأول: دعوَى أنهم شعب الله المختار:

من أبرز العوامل المكوِّنة والأصول المؤسسة للأخلاق اليهودية دعواهم أنهم شعب الله المختار، وهو ما أخبر المولى سبحانه وتعالى في كتابه الحق أن اليهود زعموا زورًا وبهتانًا أنهم: {أَبْنَاءُ اللَّهِ} [المائدة: ١٨]؛ ذلك أن اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار دون بقية الشعوب، وقد يعبّرون عنه بأنهم أبناء الله وأحباؤه من دون البشر أجمعين؛ فهم السادة وغيرهم من البشر عبيد لهم، لم يُخلقوا إلا لخدمتهم، ولم يوجدوا إلا لتلبية رغباتهم وحاجاتهم، وهي من الركائز الرئيسة في الدين اليهوديّ التي ألقت بظلالها على عامة جوانب الفكر اليهودي، سواء الأخلاق أو العقائد أو التشريعات، واليهود يستندون في ذلك على مجموعة من النصوص التوراتية والتلمودية، ومنها على سبيل المثال:

- ما في سفر التثنية: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم؛ لأنكم أقل من سائر الشعوب"[٢].

---

(١) ينظر: الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٧).

(٢) تث: (٧: ٦-٧)، ونبه حسن ظاظا أنه تكرر مثله في: تث: (١٤: ٢).

- وجاء في التلمود: "الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أميٌّ إسرائيليًّا فكأنه ضرب العزة الإلهية... اليهوديّ جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه"(١).
- ومن الأقوال المأثورة في التلمود: "كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل"(٢).

ويعتبر هذا العامل من أكبر العوامل المكوِّنة للأخلاق والسلوكيات اليهوديَّة؛ فالنص الآنف الذكر من التلمود "وحده كافٍ لوضع علامات على حدود الشخصية الإسرائيلية"(٣)؛ وماذا عسانا أن نجد من أخلاق فاضلة في التعامل مع غيره ممن يعتقد أنه شعب مختارٌ بعناية إلهيّة خاصة، وأنه متميز ومختلف كل الاختلاف بجوهر ومتفرد بأسرار ومواهب لا يتصف بها أحد غيره، وكأنه خلق من نطفة إلهية وغيره من نطفة حيوانية(٤).

وهذه الفكرة الجوهرية في الشخصية اليهوديَّة أفرزت أخلاقا سيئة للغاية؛ كالاستعلاء على البشر أجمعين والكبر والحسد والحقد وقسوة القلب والتكبر حتى عن الحق بعد ما تبيّن، وإن كان غير اليهودي في مرتبة الحيوان وإنما خلق بصورة إنسان لخدمة اليهود فما المشكلة حينئذ في الخيانة والغدر والمكر والتحايل معهم والتعامل معهم بأسوأ الأخلاق وأقبحها(٥)، ولم يقف الأمر على ذلك، بل تعدَّى إلى إهدار كافة حقوقهم واستباحة أموالهم وأعراضهم وأوطانهم وإبطال جميع العهود معهم، بل وجعلوا كتابهم المقدس الذي يدَّعون أنه منزل من رب العالمين

---

(١) اليهودي على حسب التلمود، أوجست روهلنج، وهو القسم الأول من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، تقديم: مصطفى الزرقا وحسن ظاظا، دار القلم – دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م (ص: ٧٣).

(٢) التلمود البابلي، عبوده زارة ١٠/ ب – تعنيت ٣/ ب – مدراش يلقوط على سفر زكريا ١٩٦٩م، نقلًا عن: الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٩).

(٣) الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٩).

(٤) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٧٢ وما بعدها).

(٥) ينظر: الأخلاق في القرآن والتوراة والتلمود، أحمد عمار عبد الجليل (ص: ١٩٥)، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية العلواني وآخرون، دار الفكر – دمشق ٢٠٠٨م (ص: ٥١)، العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٨م (١/ ٢٤ وما بعدها)، الشخصية اليهوديَّة الإسرائيلية والروح العدوانية، رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة – الكويت، بدون رقم الطبعة عام ١٩٧٨م (ص: ١٢٢).

داعيا إلى ذلك ففيه: "لا تقطع لهم عهدًا، ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، لا تعط بنتك لابنه، ولا تأخذ بنته لابنك؛ لأنه يرد ابنك عني، فيعبد آلهة أخرى، فيحمي غضب الرب عليكم ويهلككم سريعًا ولكن هكذا تفعلون بهم: تهدمون مذابحهم، وتحطمون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون أصنامهم بالنار، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك..."(١).

ولولا أنه ليس من موضوع البحث تناول أثر هذه الفكرة على علاقتهم مع إلههم لجرى القلم في إجلاء ذلك؛ فهم يعتقدون أن لإلههم عليهم حقوقًا، وأنه إله خاص بهم وحدهم، وأن شريعتهم خاصة بهم، وتسمِّيهم بأسماء وخلعهم على أنفسهم صفات العظمة والغرور والتعالي(٢).

وهذا العامل الذي أوردناه هنا لا يكاد يوجد كاتب من الكتَّاب في اليهودية إلا وتكلم عنه وعن أثره، كقول بعضهم: "**استطعت أن أقيس مدى تأثير (الشعب المختار) في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته**... ذلك أن تسعة أعشار المؤلّفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تروّج للإباحية المطلقة وللماركسية هي من صنع اليهود... وقد طالعني الشارع بحقائق لم تخطر لي ببال، منها الدور الذي يمثله (الشعب المختار) في ترويج سوق الدعارة وفي الإتجار بالرقيق الأبيض"(٣).

العامل الثاني: دعوى نقاوة عرقهم:

دعوى اليهود أنهم ذوو العرق الأنقى والجنس الأسمى من أهم العوامل المكونة لأخلاقهم؛ فهم بزعمهم أبناء العلاقة الشرعية بين آدم وحواء عليهما السلام، وأما غيرهم من البشر فهم

---

(١) تث: (٧: ٢-٦).

(٢) ينظر: القتل والسرقة في اليهودية والمسيحية والإسلام، عناد نجر العجرفي العتيبي، بدون دار طباعة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (ص: ٢٠٤)، الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٦ وما بعدها، ٣٦-٣٨، ٥٠)، الساميون ولغاتهم، حسن ظاظا (ص: ٦٦)، الصهيونية العالمية وإسرائيل، حسن ظاظا وعائشة راتب ومحمد فتح الله الخطيب (ص: ٤١)، مقال: الدولة الصهيونية والتعصب العنصري، حسن ظاظا، وهو مطبوع ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي (ص: ١١٠)، اليهود ليسوا تجارًا بالنشأة، حسن ظاظا وأحمد عاشور (ص: ٦٣ وما بعدها)، مقال: اليهود وحساب الزمن، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢١١/ ص: ٦).

(٣) كفاحي، أدولف هتلر، ترجمة: لويس الحاج، بيسان للنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠١٤م (ص: ٢٢-٢٣)، وينظر: العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد عبد الله الزغيبي (١/ ١٣٧ وما بعدها).

من أبناء الزنا؛ والتي حصلت في بعض نزوات آدمهم وحوائهم اللذَين ينسبون إليهما ذلك مع الشياطين أمثال الشيطانة ليلت، وهذا من أخطر القضايا الفكرية التي ألقت بظلالها على الفكر اليهودي عموما والأخلاق على وجه الخصوص.

وهم يعتمدون في هذه الفكرة على بعض نصوص كتابهم المقدس، مثل ما جاء في سفر التكوين من اصطفاء الله لنسل إبراهيم وفيه: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديًّا؛ لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديًّا. وأكون إلههم، وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم"(١). وهذا النص في اصطفاء الله سبحانه نسل إبراهيم، ثم جاء بتخصيص نسل إسحاق ليقيم عهده بهم فقال: "فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديًّا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدًّا. اثني عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية"(٢).

وإذا كان اليهوديّ يشعر في نفسه أنه مخلوق من نطفة خاصّة ذهبية مميزة بعكس غيره من البشر، وأنه متميز ومختلف كل الاختلاف؛ لأنه من جوهر غير طينة البشر جميعًا؛ **فماذا عسانا أن نجد عنده من أخلاق يعيش بها حياته ويقيم بها علاقاته مع المخلوقين ورب المخلوقين؟!**

فيمكن بسهولة أن نستنتج منه النزعة العنصرية والغرور وجنون العظمة والصلف والكبرياء والخيانة والغدر والمكر والتحايل والاستعلاء على البشر أجمعين والحسد والحقد وغيرها(٣)، وعلى سبيل المثال كانت قصة المصارعة دافعًا للكبرياء والصلف والغرور من اليهود تجاه غيرهم من البشر، "فذاقوا بسببها أهوال المذابح والهزائم وآلام الهجرة والشتات، وتضييع كل شيء بين عشية وضحاها. ولأنهم كانوا المخترعين الأُول للعصبية العنصرية والدِّينيَّة، فقد كان جزاؤهم من جنس عملهم"(٤).

---

(١) تك: (١٧: ٧-٩).

(٢) تك: (١٧: ١٥-٢١)، وينظر: تث: (٢٦: ١٨-١٩).

(٣) ينظر: العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد عبد الله الزغيبي (١/ ١٥٠ وما بعدها).

(٤) مقال: الدولة الصهيونية والتعصب العنصري، حسن ظاظا، وهو مطبوع ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي (ص:

بل إن من آثارها تسميتَهم لمن كان من غير العرقية الطاهرة النقية بأسماء وقحة، كوصفه بأنه: همجيّ بربريّ يجمع مع الحقارة النجاسة والقذارة، وهذا هو معنى (**جوييم**) الذي يطلقونه على كل أحد من البشر غير اليهود، وأقبح منه مصطلح: (ممزير)[(١)]، و(عاريل)[(٢)].

ودعوى النقاء العرقيّ مبنيّة على دعوى أوهى منها، وهي **زعم أن اليهود اليوم ينتمون إلى قومية واحدة متميزة عن غيرها من القوميات**؛ فهم يزعمون أنهم متّحدون في الجنس واللغة والتأريخ والثقافة، فضلا عن اتحادهم في الدين، ويزعمون أنهم قومية محدّدة متميزة بسماتها وملامحها ومعالمها وهويتها وقيمها وحضارتها. والحقيقة كما يقول المسيري أن "أيّة وحدة بين هؤلاء هي وحدة يتمتعون بها داخل التشكيل القومي الذي ينتمون إليه، ومن خلاله وبسببه، لا من خارجه ورغمًا عنه. كما أنها من ناحية أخرى لا ترقى البتة إلى مستوى الوحدة اليهودية العالمية الشاملة"[(٣)].

فكيف لو عرفنا أن "اصطلاح يهودي في نهاية القرن التاسع عشر كان يضم عشرات الهويات والانتماءات الدينية والاثنية والطبقية... -كما هو واضح- مركبة وثرية وغير متجانسة على المستويات الثقافية والدينية، بل وعلى كافة المستويات. وكانت هذه الجماعات غير المتجانسة تتحدث عشرات اللغات، وتقع ضمن تشكيلات اجتماعية لا حصر لها ولا عدد"[(٤)].

---

١٠٥ وما بعدها)، وينظر: مقال: إسرائيليات للبيع، حسن ظاظا، جريدة الرياض (ع: ٩٦٤٩، ٢١/ ٦/ ١٤١٥هـ- ٢٤/ ١١/ ١٩٩٤م، وهو ضمن كتاب الكشكول (٢)، (ص: ٢١ وما بعدها).

(١) ومن العجيب أن يطلق اليهود هذا على نبيّنا إسماعيل عليه السلام، ويعيّرون به المسلمين، مع أنهم يزعمون أن سليمان إنما ولد نتيجة لزنا داود بزوجة أوريا الحثي، هذا غير نسبتهم إليه الزنا براحاب التي استعان بها في فتح بعض المدن، ونسبتهم الزنا إلى أبناء سليمان وغيرهم من الأنبياء التي لا يكاد ينفك منها قارئ التوراة، خاصة سفري القضاة والملوك وما بعدها.

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٢٤٠ وما بعدها)، مقال: الدولة الصهيونية والتعصب العنصري، حسن ظاظا، وهو مطبوع ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي (ص: ١٠٩)، الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٤٨-٤٩).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية (٢/ ٢١).

(٤) الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية - دراسة في الإدراك والكرامة، المسيري، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون رقم الطبعة ولا تاريخ (ص: ٢٩-٣٠).

ويمكن اختصار نقد العامِلَين السابقين بالنقاط الآتية:

١. **أنه مجرّد ادعاء لا دليل عليه،** لا من نص، ولا واقع، ولا حقيقة علمية[(١)].

٢. **أنها خرافة صدَّقها اليهود وأخذوا بها، رغم أنه لا مستند لها** بأي شكل من الأشكال.

٣. **أن الله سبحانه وتعالى إنما فضَّل بني إسرائيل على العالمين حين فضَّلهم لسبقهم إلى الإيمان لا لعنصرهم.**

٤. على الرغم من دعاوى اليهود الزائفة بالنقاء العرقي وقيام فكرهم على العنصرية العرقية إلا **أن ذلك باطل علميًّا كما أبطله علماء الأنثروبولوجيا**؛ حيث يؤكدون أنهم ليسوا من عرق واحد، بل هم أخلاط متفرقة؛ فاليهود ليسوا مجموعة بشرية واحدة، بل جماعات وأجناس مختلفة، وهذا واضح كل الوضوح فيمن جلبتهم الصهيونية إلى فلسطين؛ فهم شراذم من الناس وشظايا متنافرة، يظهر للناظر فيهم من بعيد أنهم ليسوا كتلة واحدة، ولا يمكن أن يكونوا كذلك، ومن هنا سماهم المسيري (الجماعات اليهوديَّة) بدلًا من: اليهود، أو الجماعة اليهوديَّة.

ومن أهم الأخلاط في الكيان الاحتلالي اليوم:

١- **الفلاشة،** وهم أحباش.

٢- **اليهود الألمان** الذين يمتازون بسمات الشخصية الألمانية.

٣- **التأميل،** وهم يهود سود البشرة من الهند.

٤- **يهود الخزر،** وأصولهم من الجنس التركي.

"وفي ذلك يقول العلامة السويسري أوجين بيتار: (إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا على الرغم من كل ما يدّعيه اليهود المنضَوُون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى جنس يهودي). وكما يقول رينان: (لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية)"[(٢)].

---

(١) ينظر: مقال: الدولة الصهيونية والتعصب العنصري، حسن ظاظا، وهو مطبوع ضمن كتاب أبحاث في الفكر اليهودي (ص: ٩٧)، مقال: الشعر اليهودي وبداياته، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢٥٩/ ص: ٣٦).

(٢) الأجناس البشرية في التاريخ (بالفرنسية)، يوجين بيتار (ص: ٤١٣)، نقلا عن: الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا

٥- **أنها هادمة للأمم مانعة من قيام أي حضارة لها**؛ فالحضارات لم ولن تقوم على العنصرية العرقية؛ فالأمم القديمة -الفرعونية والمصريون القدماء والبابليون والآشوريون وكذلك الهنود واليونان والصين- كلها لم تقم عليه، وإنما على اعتزاز قومي غير محدد ولا مغلّق على نسب محدّد، **وانغلاق اليهوديَّة وعنصريتها من أبرز وأهم أسباب عدم وجود أيّ حضارة لها؛ فهي أمة بلا حضارة**[١].

يقول المسيري: "«نقاء اليهود عِرْقيًّا» عبارة تفترض أن أعضاء الجماعات اليهودية قد حافظوا عبر التاريخ وفي كل زمان ومكان على نقائهم العِرْقي، فلم يختلطوا بالأجناس والشعوب الأخرى... وبذل كثير من «العلماء» الصهاينة كثيرًا من المحاولات التي ترمي إلى إثبات نقاء اليهود عِرْقيًا... والحديث عن الوحدة العِرْقية بين اليهود (كما بيَّن الدكتور جمال حمدان وغيره من العلماء) لا محل له من حقيقة أو علم على الإطلاق. واليهود لا يعرفون الوحدة العِرْقية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية، وثمة اتفاق بين الدارسين في الوقت الحاضر على أن نقط التشابه بين أعضاء الجماعات اليهودية وبين أبناء المجتمعات التي يعيشون فيها يفوق كثيرًا أي تَشابُه قد يُوجَد بين أية جماعة يهودية وأية جماعة يهودية أخرى في مجتمع آخر... وقد اتضحت الخلافات العِرْقية بين اليهود في الدولة اليهودية بشكل مثير لا يمكن الجدل بشأنه، فاليهود الإشكناز الشقر ويهود الفلاشاه السود ويهود بني إسرائيل الداكنو اللون (الذين جاؤوا من الهند) لا يمكن أن ينتموا إلى عِرْق واحد مهما بلغت الادعاءات العنصرية (الصهيونية أو المعادية لليهود) من حنكة وموضوعية!"[٢].

العامل الثالث: العزلة الاجتماعيَّة وعقدة الانفصال عن البشر:

أفرز العاملان السابقان مع مرور الأزمان وتوالي حوادث الدهور على اليهود عاملًا ثالثًا كان له بالغ الأثر في تكوين الأخلاق اليهوديَّة؛ وهي **عقدة الانفصال عن البشر ودعوى السموّ الاجتماعي**، وإن شئت فسمِّه: العزلة الاجتماعيَّة، التي "اتخذت طريقها إلى النفسية

(ص: ٣٥)، وينظر: الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص: ٣٢٠)، يهود اليمن، عباس علي الشامي، بدون دار طباعة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (ص: ٣١ وما بعدها).

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٣/ ٢٠١).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية (٢/ ٦٧).

الإسرائيلية، وأصبحت عاملًا أساسيًّا في تكوين شخصية هذه الطائفة من الناس منذ القدم"(١).

ولم تخيب التوراة -التي كيَّفها اليهود على مقاس رغباتهم- ظنَّهم في أن يجدوا ما يحتجون به **كما جاء في سفر التكوين**: "وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له: ضع يدك تحت فخذي. فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم"(٢).

وما دام أن الأصل هو الانفصال التام عن البشر غير اليهود، فأبشر بالجشع والقسوة والتمرُّد والانغلاق والانطوائيَّة والتعصُّب الشديد والعنصرية والاعتداء على الآخر؛ يقول الدكتور حسن ظاظا: "هم يحرصون في داخل المجتمعات البشرية التي يعيشون فيها -ابتداء من مصر الفرعونية وحتى الآن- على أن يكونوا غير ملحوظين ولا ظاهرين للعيان من جهة، وعلى أن يكونوا مختلفين في زيهم وشمائلهم ولغتهم؛ فضلًا عن تقاليدهم وأسلوب تعاملهم مع الناس بشكل ملفت للأنظار من جهة أخرى؛ فهم في آن واحد يسعون جاهدين إلى المساواة من ناحية، وإلى الامتياز من الناحية الأخرى. فإذا تحققت لهم المساواة بدؤوا باستغلالها لتحقيق الامتياز، وهم لا يكفون عن التغني بالصدق مع الله!"(٣).

ومن أبرز معالم العزلة الاجتماعيَّة في اليهوديَّة:

- **الحياة البدوية المنعزلة**؛ فقد كانت قبائل العبرانيين تعيش في ضواحي المدن والحواضر المعروفة في الحضارات القديمة(٤).
- **الجيتو** وهو: حي خاص باليهود في أوروبا يقيمون فيه بصفة إجبارية، ويمنع تجولهم ليلًا خارجَه، وهي ظاهرة اجتماعيَّة منتشرة في تاريخ اليهود في أوروبا كلها بسبب الانغلاق والجمود

---

(١) الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٣٥)، وينظر: العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد عبد الله الزغيبي (١/ ١٥١ وما بعدها).

(٢) تك: (٢٤: ٢-١٠)، وينظر: عزرا: (٩: ١-٣).

(٣) مقال: بنوة الفكر اليهودي للإسلام، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢٢٠/ ص: ١٩)، وينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٢/ ٦٦)، مقال: العبرية الصهيونية واليهودية الشعبية، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢١٢/ ص: ٦).

(٤) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٢/ ٣١٦)، الصهيونية العالمية وإسرائيل، حسن ظاظا وعائشة راتب ومحمد فتح الله الخطيب (ص: ٢٠-٢١).

النصراني واليهودي، وعدم تعايش الديانتين مع بعضهما البعض بعكس المسلمين؛ فإن اليهود لم يعرفوا الجيتو في تاريخهم مع العرب والمسلمين، بل على العكس عاملوهم بإنسانيتهم حتى كان منهم من يرتاد القصور والبلاط الملكي(١).

والخلاصة في معالم العزلة الاجتماعيَّة الآنفة الذكر سطَّرَها ظاظا في عبارة مختصرة قائلا:

"وإذا كان السنهدرين والقهيلة من صور العزلة اليهوديَّة الاجتماعيَّة التي أراد بها اليهود أن يحافظوا لأنفسهم على كيان يستعصي على الذوبان في الأمم الأخرى؛ فإن «الجيتو» –أو الحي الخاص بسكنى اليهود في أوروبا– كان صورة أخرى من اندحار اليهوديَّة وراء أسوار معمارية حقيقيَّة فرضها القوم على أنفسهم، وأقرتهم على ذلك الأمم التي يعيشون بينها، كان الجيتو تتويجًا لمسلك العزلة والعداوة بين إسرائيل والأمم الأخرى، وكان بوتقة جديدة أُعيد فيها سبك الشخصية الإسرائيلية"(٢).

وفي ختام الحديث عن العوامل الدِّينيَّة تحسن الإشارة إلى **أن هذه العوامل وإن كانت دينية في ظاهرها إلا أن العامل الديني في حقيقته وبدلالاته الحقيقية لم يكن هو المؤثر دائما،** بل المؤثر غالبا ما أضيف على الدين وانتُحل لخدمة رغباتهم، وهو ما يؤكد لنا أنه إلى جانب العامل الديني لعبت العوامل التَّأريخيَّة دورًا مهمًّا في سبك الأخلاق اليهوديَّة، وهو محل حديثنا الآتي.

النوع الثاني: العوامل التَّأريخيَّة:

لا جرم أن الإنسان ابن بيئته، وأن التأريخ الماضي للإنسان يلقِي بظلاله على الحاضر، ويكشف عن كثير من خبايا المستقبل، ويجلِّي لنا العوامل المكوّنة لأخلاقه، واليهود ليسوا بمنأى عن هذه القاعدة، فمن أهم العوامل التَّأريخيَّة المكونة للأخلاق عندهم ما يأتي:

العامل الأول: الشتات (الدياسبورا):

لئن كان التمدُّد الإسلامي الذي اكتسح العالم شرقًا وغربًا في فترة وجيزة محلَّ إعجاب وإكبار وتأمُّل من منقّبي التأريخ وسبب دخول كثير من غير المسلمين فيه حيث "انتشر بسرعة

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٢/ ٦٦)، الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٧٠ وما بعدها).

(٢) الشخصية الإسرائيلية (ص: ٧٠- ٧١).

أشبه بالمعجزة، لا بين المساكين والمتخلِّفين، بل على أنقاض إمبراطوريات وممالك قادت الحضارة البشرية آلافا من السنين... حقيقة تاريخية مذهلة"(١)، أقول: لئن كان الأمر كذلك في الدين الإسلامي **فإن الشتات في التأريخ اليهودي على النقيض من ذلك أثَّر سلبًا على اليهود أنفسهم في عامة مناحي الحياة، وفي الأخلاق على وجه الخصوص**؛ فالباحث المنقّب في تأريخ اليهود يجد أن عامة تأريخهم هو الشتات، والذي يسمّى عند اليهود (الدياسبورا)(٢)، وقد كثرت النصوص التوراتية المرويّة عن الأنبياء والمنذِرة بتشتيت بني إسرائيل كإرميا وإشعيا(٣).

ولا ننسى أن أول عصورهم مع موسى عليه السلام كان خروجًا وهربًا من بطش فرعون من مصر، ولكنهم لم يظفروا بالاستقرار زمنًا؛ بل بدأ الشتات والتيه منذ ذلك العصر بسبب عنادهم وصَلَفهم وتكبرهم عن اتباع أمر الله ورسوله موسى عليه السلام، فعوقبوا بالتيه، كما أخبر الله تعالى في كتابه الحق: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ} [المائدة: ٢٦]، وازدادت بليّتهم وتضخمّت مصيبتهم بعد أن مات موسى عليه السلام وهم في التيه، وبقوا كذلك محاولين الدخول حتى عهد يوشع خليفة موسى، ثم قامت لهم مملكتهم في عهد داود، ثم خلفه ابنه سليمان.

ولكن تلا هذا العصر الذهبيَّ لليهود عصرُ تشرذم وانقسامٍ، إلا أنه بقيت لهم مملكتان: السامرة الشمالية (إسرائيل)، وأورشليم الجنوبية (يهوذا)، وهذه هي الفترة الوحيدة التي عاش فيها اليهود بلا شتات؛ ولكن سرعان ما انقضى هذا العهد عام ٧٢٠ ق. م؛ حيث قضى الآشوريون على المملكة الشمالية، وفُرض عليهم الشتات والتفرق في الأرض، كما قضى البابليون بقيادة بختنصر على المملكة الجنوبية عام ٥٨٦ ق. م. ودمَّر كل شيء في القدس من آثار اليهود، وفُرض عليهم الشتات أيضًا.

ثم بدا لهم بريق أمل مع قورش الفارسي بعد سبعين سنة، وعادوا فعلًا إلى القدس، ولكن سرعان ما انقضّ عليهم فسبازيان مرة أخرى وشتت اليهود عام ٧٠م.

---

(١) مقال: اليهود في ظل الإسلام، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢١٥/ ص: ١٩-٢٠). وينظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٢/ ٩٨)، الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٦٦).

(٣) ينظر: إر: (١٤: ١٥-١٦)، إش: (٤٣: ١-٧).

ثم في عام ١٣٥م قمعهم هدريان الروماني وأنهى الوجود اليهودي في القدس بالكلية كردة فعل على محاولات التمرد اليهودي، وقد ذاق اليهود مرارة الشتات قرابة تسعة عشر قرنًا، وأثر ذلك على فكرهم وعقائدهم وتشريعاتهم وتراثهم وأخلاقهم، ولم تقم لهم قائمة حتى لمع بريق لتجمّعهم من جديد في الاحتلال الصهيوني الذي أقاموه عام ١٩٤٨م(١).

ومن الأخلاق التي نشأت عن هذا العامل: الجشع وحب المال والقسوة وعدم النظافة والقذارة حسيًّا ومعنويًّا، ومحاولة التمرد، وكراهية الأمم الأخرى، وبقاء اليهودي في خوف وقلق دائم وعدم استقرار وأمن، "**فهم عاشوا في الشتات؛ تتضخَّم في نفوسهم عقدة الشُّعور بالاضطهاد، ويتضخم معها الحقد على أمم العالم**؛ فلا يبقى لهم حلّ بعد ذلك إلا العزلة التي ألقت بهم في النهاية في الجيتو"(٢)، وهكذا تعود النفسية اليهودية إلى الشعور بالاضطهاد من جديد، وتدور في هذه الدائرة المغلقة إلا أن يشاء الله خروجها منها.

واتخذ صناديد اليهود ذكريات الشتات وتواريخها مادة لإذكاء هذه الأخلاق فيهم؛ فسمِّي الحي الذي أقيم فيه كيان الاحتلال الصهيوني (تل أبيب)؛ تذكيرًا بالمنطقة التي سَباهم إليها بختنصر الكلداني بعد تدمير القدس، واتُّخذ من يوم التاسع من آب يوم صوم وحداد لأنه اليوم الذي حصل فيه تدمير بختنصر للقدس، ويزعمون أنه هو نفسه اليوم الذي اقتحم فيه تيتوس القدس عام ٧٠م.

العامل الثاني: أمل إعادة ملك داود وسليمان:

كان من أهم سؤالات هرقل لأبي سفيان وأوائلها حين أراد اختبار دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "فهل كان من آبائه من ملِكٍ؟"(٣). وقد بيَّن هرقل سبب سؤاله هذا بأن من عادة من كان في أسلافه مَلكٌ أن يطلب مُلكَ آبائه وأسلافه؛ **وهذا بالضبط هو ما**

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، المسيري (٤/ ١٣٦ وما بعدها)، العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد عبد الله الزغيبي (١/ ١٦٣ وما بعدها)، الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص: ٣٧ وما بعدها)، الساميون ولغاتهم، حسن ظاظا (ص: ٧٤ وما بعدها)، شريعة الحرب عند اليهود، حسن ظاظا وأحمد عاشور (ص: ٣٢ وما بعدها).

(٢) الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٦٨).

(٣) القصة في المتفق عليه، أخرجها البخاري (٢٦٨١)، ومسلم (١٧٧٣).

نتحدث عنه في هذا العامل بالنسبة لليهود.

فمما هو متفق عليه أنه لم تقم لليهود قائمة، ولم تكن لهم دولة ومملكة إلا **فترة من عصورهم**، وهي فترة ملك داود وابنه، وعلى الرغم من أنه لم تكن لهم إلا تلك المملكة إلا أن ملكهم كان عظيمًا، ويذكر أن سليمان خاصة من أكبر وأعظم من ملك في الأرض حتى دانت له الإنس والجن والعفاريت، حتى إن جنوده تنافسوا في النكال بعدوه، وكان منهم من جاء بعرش ملكة سبأ في طرفة عين كما أخبر الحق سبحانه وتعالى في الكتاب الحق(١).

ومهما يكن من أمر فإن هذه الدولة التي قامت لليهود **بقي أثرها على فكرهم ونفوسهم وأخلاقهم، فاليهود بقوا من بعد تلك الفترة التي تعاقبت عليها قرون ودول وملوك وعصور يطلبون إعادة ملك أسلافهم**؛ "فملك داود حوَّله اليهود في أجيالهم المتأخرة إلى مثلٍ أعلى قالوا بوجوب استمراره مؤبَّدًا إلى يوم القيامة"(٢)، ونشأ عن ذلك الكذبُ والمبالغة في وصف ذلك المُلك واختلاق الأعاجيب والسعي بالإفساد في الأرض بنشر الإلحاد والفواحش والرذائل والحروب والفتن والأخلاق الرذيلة؛ لتَخلوَ لهم الساحة ويعود ملكهم الموعود إليهم.

ولكن اليهود لم ينعموا بالاستقرار زمنًا، بل على العكس **نجد أن عدم الاستقرار والشتاتَ والتفرق في البلدان الأخرى والتشرذم والانصهار في الدول الأخرى** هو قدَرُهم كما تبين من قبل؛ وهو ما أثّر سلبا على النفسية اليهودية كما سنناقشه فيما يأتي.

النوع الثالث: العوامل النفسية والاجتماعيَّة:

من أهم العوامل النفسية المكوِّنة للأخلاق اليهودية ما يأتي:

العامل الأول: الشعور بالاضطهاد:

اليهود في عامة تاريخهم كانوا بالنسبة إلى من حولهم قليلي العدد ضعفاء، كيانهم هشّ؛ خاصة بعد السبي وفي عصور الشتات، ولكن اليهود لم يرضوا بالمستوى الذي ألجأهم إليه القدر بما اكتسبته أيديهم، بل تكبَّروا واستعلوا على غيرهم؛ فزادت الأمم لهم اضطهادا وتنكيلًا وتشتيتًا؛

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩/ ٤٥٩)، تفسير البغوي –إحياء التراث– (٣/ ٥٠٥)، تفسير ابن كثير –ت: سلامة– (٦/ ١٩١).

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص: ٤٠).

فازدادوا هم حقدًا وحنقًا على الأمم.

وهو ما أورث في نفوسهم الشعور بالاضطهاد الذي ازداد ألمه وتضاعف جرحه وهم يعيشون في كنف النصارى، بينما تعايش المسلمون مع اليهود وعاملوهم بالعدل بما لهم وما عليهم؛ ووقفوا منهم موقفا وسطًا؛ فلم يظلموهم، ولم ينصاعوا أيضًا لرغباتهم، ولا انصهروا في فكرهم، بل استفادوا من علومهم كالطب وأفادوهم(١)، فأما عن حال اليهود بين نصارى أوروبا، فإلى جانب الاضطهاد والتشريد النهائي الذي حصل مع فسبازيان ثم تيتوس وهدريان وبدء الشتات الكبير الذي دام قريبا من عشرين قرنًا نجد أن اليهود تزداد عليهم مرارة الاضطهاد في كنف النصارى وتاريخ أوروبا عموما(٢).

والمقصود هنا أن اليهود تأصَّلت في نفوسهم هذه العقدة: **عقدة الشعور بالاضطهاد، وأصبح مكونًا رئيسًا في النفسية اليهوديَّة**، ونتج عنه مجموعة من الأخلاق اليهوديَّة، خاصة الحقد والكراهية والخوف الدائم والارتياب والقلق الدائم من الأغيار خاصة وعدم أمنهم، يقول الدكتور حسن ظاظا: "**معلوم أن الحقد هو الابن الشرعي للشعور بالاضطهاد**، والحقد اليهودي لا يشذّ عن هذه القاعدة. وليس وجود عقدة الاضطهاد في الشخصية الإسرائيلية شعورًا من تخييل الوهم أو نسج الخيال، فما لا شك فيه أن اليهود ذاقوا مرارة الاضطهاد كثيرًا، وفي عصور متعددة من تأريخهم... وإذا كانت جماعة صغيرة من الناس تجعل التمييز العنصري أساسًا لفكرها منذ البداية، ثم لا تفكر على مر العصور إلا في تقوية هذا التمييز العنصري، فهي جماعة مقضي عليها بالكراهية. فإذا كانت إلى جانب ذلك قليلة العدد ضعيفة هشة تحولت الكراهية بسرعة إلى اضطهاد، ويظلُّ الاستعلاء العنصري يجذب الكراهية، والكراهية تولد الحقد، والحقد يغري بالاضطهاد، وإذا باليهود يدورون والعالم على أثرهم في حلقة جهنمية مفرغة"(٣).

---

(١) ينظر: مقال: القدس مدينة الله أم مدينة داود، حسن ظاظا (ص: ٣٩ وما بعدها)، الصهيونية العالمية وإسرائيل، حسن ظاظا وعائشة راتب ومحمد فتح الله الخطيب (ص: ٥٢ وما بعدها)، مقال: اللاسامية والإسلام، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢٤٨/ ص: ٢٠)، مقال: اليهود في ظل الإسلام، حسن ظاظا، الفيصل (ع: ٢١٥/ ص: ٢٠ وما بعدها).

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل، حسن ظاظا وعائشة راتب ومحمد فتح الله الخطيب (ص: ٥٧–٥٨).

(٣) الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا (ص: ٦٥).

العامل الثاني: تأصُّل الصّراع والتمرُّد:

من العوامل النفسية الرئيسة لليهودي مركزيَّة فكرة الصراع والتمرد فيه؛ فقد كان بنو إسرائيل دائما متمردين؛ تمردوا على نبي الله موسى أكثر من مرة ولم يكد يجفّ بللهم من الانتصار على فرعون والنجاة من الغرق، كما تمردوا على نبي الله يعقوب ونسبوا إليه ما في نفوسهم من مرض، وزعموا أنه صارع الإله وصرعه، وغيرها من أحداث الصراع والتمرد والعصيان التي تغمر الفكر اليهودي؛ بدءًا بتوراتهم المحرفة التي يزعمون إفكًا وزورًا أنها كما هي اليوم من عند رب العالمين.

يقول أحمد عاشور: "عندما يُقبِل الإنسان على قراءة العهد القديم -وهو كتاب اليهود السماوي المقدس- يُدهِشه أن هذا الكتاب يختلف عن أسفار العهد الجديد المسيحية وعن القرآن الكريم؛ **لكون فكرة الصراع في ثناياه ثابتة مستمرة متصلة، تكاد تشمله من أوله إلى آخره. وتكاد أسفار هذا الكتاب تشبه فصول ملحمة طويلة دامية في كثير من الأحيان، تتضمن أخبارًا مجملة حينا ومفصلة أحيانا عن صدام بالقوة بين الأفراد أو بين جموع من البشر**؛ لأن طبيعة العنصرية الإسرائيلية لا يمكن أن تتبلور في نفس اليهودي إلا مسبوكة بنيران الحروب"(١).

ولن يعجز الباحث عن سرد عشرات النصوص التي تسعفه على تقرير هذه الفكرة؛ فمثلا نجد في صمويل الأول أمرًا مباشرًا صريحًا فجًّا بالإبادة والتدمير الكلي لكل ما يتعلق بالعدو ومحوه تماما: "وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلا تَعْفُ عَنْهُمْ، بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارً"(٢).

ومثله في سفر حزقيال للرب قوله: "اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ خَلْفَهُ وَاقْتُلُوا. لا تَتَرَأَّفْ عُيُونُكُمْ وَلا تَعْفُوا. أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. وَلَكِنْ لاَ تَقْرَبُوا مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ قُدْسِي. فَابْتَدَؤُوا يُهْلِكُونَ الرِّجَالَ وَالشُّيُوخَ الْمَوْجُودِينَ أَمَامَ الْهَيْكَلِ. وَقَالَ لَهُمْ: نَجِّسُوا الْهَيْكَلَ وَامْلَؤُوا سَاحَاتِهِ بِالْقَتْلَى، ثُمَّ اخْرُجُوا. فَانْدَفَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَرَعُوا يَقْتُلُون"(٣).

---

(١) شريعة الحرب عند اليهود، حسن ظاظا وأحمد عاشور (ص: ١٦).

(٢) صم ١ (٣: ١٥).

(٣) حز: (٩: ٥).

وإذا كان هذا حال كتابهم المقدس فلا نعجب بعد ذلك أن فتاوى الحاخامات تنهج النهج نفسه، وتحرض على الإبادة الجماعية للعدو ومحو كل شيء يتعلق به حتى الحيوانات والجمادات، فضلا عن الأطفال والنساء والشيوخ[١].

ولا نعجب أن **التأريخ اليهودي** كله مبني على الصراع والحروب؛ فإن "من يتصفح تأريخ الحرب عند اليهود منذ أقدم العصور وإلى الآن يقف مبهورًا أمام كثرة هذه الحروب، حتى يخيّل إليه أن الحرب هي الوضع الطبيعي! فهي القاعدة، والسلام هو الشذوذ"[٢].

ختاما:

من الطبيعي في الختام أن نتساءل: ما الأخلاق التي ستثمر في شجرة هذه جذورها وأصولها؟! وما السلوكيات التي تنتظرها من إنسان هذه نفسيته؟!

ومن المنطقي هنا أن لا نتعجب من تلك الأخلاق اليهودية البشعة الوحشية المتطرفة غاية التطرف؛ إذ هي قد تكونت بفعل عوامل عدَّة؛ كدعوى الاصطفاء والاختيار الإلهي ودعوى النقاء العنصري وما عانوه من الاضطهاد والسبي وغيرها من العوامل، وأيضا ظهر لنا أنها استمدت من عدة مصادر، بدءًا من التوراة ومرورًا بالتلمود وانتهاء بالحاخامات.

وإذا كانت التوراة التي بأيديهم اليوم مملوءةً بأرذل الأخلاق وأشنعها –كالعنصرية والاستعلاء على الآخرين والأنانية والمادية المقيتة– فما ظنك بما بعده من المصادر كالتلمود والحاخامات؟!

ولا شك أن هذه الأخلاق ألقت بظلالها على اليهود اليوم فيما بينهم وبين طوائفهم وجماعاتهم وفرقهم وأحزابهم، فضلا عن الشعوب الأخرى.

---

(١) ينظر: فتاوى الحاخامات رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، منصور عبد الوهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص: ١٦ وما بعدها).

(٢) مقال: اليهود والحرب، حسن ظاظا، (ع: ٢٣٤/ ص: ١٩)، وينظر: الأصول التوراتية للعنف اليهودي، عبد الغني عماد (ص: ٢ وما بعدها)، الآخر في الفكر اليهودي – الجزء الأول: الآخر من المنظور اللغوي والتاريخي، نازك عبد الفتاح وآخرون، دار العلوم للنشر – القاهرة، بدون رقم الطبعة عام ١٤٠٦هـ–٢٠٠٦م.